ديزيره سقال

ترجمان الوَجْد



الطبعة الثانية

٢٠٢٠

ديزيره سقال

ترجمان الوَجْد



الطبعة الثانية

٢٠٢٠

المقيمة

(إلى جانيت ستيفنز: مراسلة شابّة
قُتِلَت في انفجار السفارة الأميركية ببيروت.)

عندما يَمسحُ شَعرُكِ الخرائبَ
لا يَسألُكِ الصقيع...
زَرَدٌ... زردٌ... وحولَ القَصَبِ المكسَّر رائحةُ عطرٍ
خفيفة. لعلّها الإقامةُ، لعلّها الرحيل...
زَرَدٌ... زَرَدٌ... وَحَوْل وجهِكِ رائحةُ النَّهْب،
وقُدّاسُ الصقيع...
عندما يمشي الأطفال على قلبكِ

وينحدرُ العبير
لا تنظُرين.
يُمسِكُ بكِ ما تبقّى منْكِ
ويُقفِلُكِ... يُقفِلُكِ...

هكذا، مع كلّ أنخطافة، لُمَعٌ تمسحُ خُصَلَ شَعرِكِ، وشَعرُكِ يمسحُ الخراب. هكذا تُقيمين في الوَجهِ الأَبعدِ، تنطرِحين على نفسِكِ، وتمشينَ عليكِ... تُراهُ العطر يرشحُ؟ تُراها سَنابِل؟ تُراها لُعبة بينَ يديكِ، لا تسألُكِ، ويَسرقُها منْكِ النَّهْبُ...؟

مَنْ يرحلُ في النَّهْبِ؟

على شَفيرِ الغيمِ نُطْفَةٌ، بقيّةٌ غريبةٌ تكبرُ حتى الذهول. على شفيرِكِ هَجرٌ طويلٌ يَتَدَوَّرُ، يتحاملُ، يَنجرِحُ

وتنزفُ الشمسُ/ تخرجينَ وحيدةً
وحيدةً تخرجين،
يَحْفُرُكِ المعْدِنُ والحجرُ/ هَجْرٌ طويلٌ...
تُراهُ العطرُ يرشَحُ؟
بقيّةٌ تتكسَّرُ/ تتقاطَعُ/ تنأى

ويحملُها الغيمُ إلى بلادِ الصقيع؟
مَنْ يرحَلُ في المَهَبِّ؟
لا شيءَ حَوْلَكِ
بل خواءٌ منَ البياضِ المرير،
لا شيءَ
بل سواقي شَعرِكِ تَمسَحُ النَّهْبَ
فآهِ، آهِ، أَينَ أَنتِ؟
غريبةٌ على موكبِ الهدوءِ تفتحينَ وَجْدَكِ الطويلَ،
ولا يَخْفُرُكِ إِلّا الحجرُ. وعندما تَنامينَ هادئةً حولَ رائحةِ عِطرِكِ، يرحَلُ الحُلمُ الذي أَنجَبَكِ
وتستغرِقينِ...

(١٩/ نيسان/ ١٩٨٣)

سَفَرٌ في التكوين

(إلى غلاديس)

– ١ –

إنّني أَبدأُ اليومَ وَجْهَكِ:
ما يُشبهُ المجيءَ والولادةَ. كانَ الأفقُ يتلاشى،
والأرضُ تنزلقُ في أفكاري/ صمتًا
أَرُجُّ الأَرْضَ وتاريخَ الدموع.
أَنْكَمشُ عصرًا من الرصاصِ – شمسًا رصاصيّةً/
صمتًا، صمتًا:
إنّني أَبدأُ الآنَ وجهَكِ...

– ٢ –

يندسُّ الليلُ بينَ مَسامّي،
ينسلُّ في الفراغِ المستدير،
يرسمُ صُوَرًا، أشكالًا عَدَمِيَّةً،
يرحلُ فيها إِلى آخرِ الدنيا
حيثُ العبورُ في أقصى بداياتِهِ...
أَغيبُ في الساعاتِ الرماديّةِ.
أَكتشِفُ الظَّهيرةَ في وَجهِكِ
حينَ تصيرينَ كوكبًا من الدّمِ والملح.
تدقُّ آخرُ الساعاتِ
موعِدَ العبورِ
إلى الرّقمِ اللولبيِّ المغنّي

حيثُ أَبدأُ اليومَ وجهَكِ...

– ٣ –

المجْدُ للضوءِ في غَمْرَةِ الرّماد.

مُحْتَدِمًا، أُهَشِّمُ الصُّوَرَ.

مُحْتَدِمًا، أَرحَلُ في الصوَر —

أَلْتَقيكِ...

تتهاوى بيني وبينَ الحَنينِ أَشْرِطَةٌ/ أَرْنو إلى موتِكِ

محاصَرًا بوَهْجِ عَينَيْكِ/ أَلْتَمُّ حَوْلَكِ حَقْلًا مِنَ الضَّياعِ...

المجْدُ للضوءِ في غَمْرةِ الرمادِ،

أَعْتَنِقُ فيهِ. أُعانِقُ الأَشياءِ.
سوفَ يأْتونَ بِمَجْدِ الصراخِ
أوْ
بِما يُشْبِهُ العِشْقَ والوَجْد،
ما يشبِهُ السديمَ...
سيأتونَ عندما نَسْتَظْهِرُ الأَشياءَ – أنا وأَنتِ –
نَقودُ الاتِّجاهاتِ، نَنأى عنِ الوطَنِ...
سيأتونَ/ لِنَرْحَلْ.
قلْبُكِ يُحاصِرُ قلبي/ قلبي يبدأُ الآنَ وَجْهَكِ
لِنَرْحَلْ...
أَوّاهُ! لوْ موتٌ يَصْهرُنا، لو اتِّحادٌ، لو نارٌ...

لكِنَّ الحصارَ يحملُ وَجْهَيْنا إلى مُدُنِ الغيومِ النازفَةِ،
وهذا الوطَنُ يلْتَفُّ على اتِّحادِنا!

لو موتٌ يصهرُنا، لو اتِّحادٌ، لو نار...

ورحيلُ الشفاهِ في غربةِ حضورِنا صَمْتٌ مُهْتَرِئٌ يطوي المفازاتِ، ويترُكُنا وَجْهَيْنِ مُتباعِدَيْنِ في قُصورِ الرملِ ومُدُنِ الحَنين، نَحْمِلُ الصمْتَ ونمضي...

أَلِهذِهِ الشوارِعِ المعْتِمَةِ خَلَّفْنا المسافَةَ بينَنا قَفْرًا مُفْجِعًا؟

أَلِهذا الدِّفْءِ البارِدِ ترَكْنا التِقاءَنا وَجْهًا عَتيقًا نُحاسِيًّا؟

أَلِهذا... آهِ! شَبَحانِ يَلْتَقيانِ في التِّيهِ، يَتَلاشَيانِ في التيهِ،

شَبَحانِ... آهِ! أَنا وأَنتِ. بلْ شَبَحٌ واحدٌ يَمحوهُ خَدَرٌ غريب، يَنحَلُّ في غَيبوبةِ الانشطارِ فجيعةً، طِفْلَيْنِ غارِقَيْنِ في صَمْتٍ أَخرسَ، كَفَّيْنِ تَلتقِيانِ/ تتشابَكان — بالرغمْ من المسافاتِ والبعدِ تتشابكانِ... **غ – د.**

كيفَ نمضي؟
كيفَ نتدفَّقُ مِنْ علُوِّ النور؟
لِنَبْدَأْ
سَفَرَ الحَنينِ والعودةِ،
سَفَرَ التَحَطُّمِ الجديدِ والاتِّحادِ الجديد.
لِنَبْدَأْ
سَفَرَ الوطَنِ الخِنْجَرِ المنْغَرِزِ في القلب

حيثُ تَنشَقُّ العَتَمَةُ عنْ قَوْسِ قُزَحَ،
حيثُ يُضيءُ العِشْقُ في مَحاجِرَ لا يُبْحِرُ فيها غيرُ الدَّمْعِ،
لِنَبْدَأْ —
إِنَّني أَرسُمُ عَيْنَيْكِ في سَديمِ أَضْلُعي...

– ٤ –

بينَ الرعبِ في عيني والصمْتِ المقْدودِ في رائحةِ الدم
يَنزلِقُ وجْهَكِ في أَحشائي، عابِقًا ببكارةِ المفازات.

طَوَيْتِ المسافةَ بينَ الآنِ والآن، وانْحدَرْتِ في قَلبي سُلَّمًا منَ المجيء/ ها أَحْتَضِنُكِ بينَ جِراحِ الوطَن/ ها أَسْبَحُ في يَمِّ عَيْنَيْكِ، فاسْتَسْلِمي...

أَدِماءٌ أَمْ أَطفالٌ تَحَوَّلَتْ إِلى حِراب؟

أَصَمْتٌ أَمْ تَعَبٌ يَنْزِفُ مِنْ أَقدامٍ رَكَضَتْ وَلَمّا تَنْتَهِ المسافاتُ؟

أَم أَنَّهُما عَيناكِ تَختفيانِ على حُدودي؟

استسلِمي.

إنَّ في قلبِكِ مَجامِرَ تُدْفِئُ بَرْدَ القلب/ إنَّ في راحَتَيْكِ حَنانَ أَجْيالٍ تندَثِرُ خُطاها/

أَشُدُّكِ إلى صَدري، أَربُطُكِ بالموت،

استسلِمي...

مُحاصَرَةً بالوجوهِ النحاسيّةِ، محاصرةً بالوطن، محاصرةً بالرعبِ تَدخُلينَ أَتّونَ أَحشائي،

فاستسلمي.

واثِبَةً أَراكِ تَتَّجِهينَ إلى دَمي/ تَسْكُنينَهُ غاباتٍ من الملائكَةِ/ أَستَلْقي على تاريخِ الدمْعِ – أَسقُطُ بينَ الدمْعَةِ والدمْعةِ

تَسكُنُني الفجيعَةُ/

مُحاصرةً بالرعبِ، ترقصينَ على مباضِعِ الفِراقِ، ها يدي.

محاصرةً بالرّعبِ تَثِبينَ. آهِ! ها يدي –

محاصرةً بالرعبِ، لا يَدَ تُمَدُّ إِليكِ، لا طريقَ أمامَكِ.

آهِ اسْتَكيني في دَمي.

لا يدي ترفَعُ عنْكِ حِصارَكِ ولا جِراحي...

محاصرةً، كما كُنْتِ، تَظَلّينَ.

اهْدَإِي!

يَنفَتِحُ الجرْحُ حينَ أَدعوكِ، تَنقَدُّ دمائي.

استسلِمي.

إِنَّني أَبدأُ اليومَ رُعْبَ عَينَيْكِ.

ليسَ هو الليل/

مُضيئًا كزوبعةٍ من نور.
ليس هو الصمت/
يبوحُ بِأَسرارِ السديم.
ليسَ المجهولَ/ ليسَ الرعبَ المترَبِّصَ...
هو المثولُ بينَ يدي الموت:
– أَهْلًا، أَهْلًا، أَيُّها الصديقُ...

(كانون الأوّل/ ١٩٧٩)

بداية

– ١ –

تبدإينَ
من عبورٍ خارجٍ إلى طريقِ ضلوعي.
تستيقِظينَ على وَجْهي...
وها نبدأُ معًا
سَفَرَ الاحْتراقِ والحنين،
فاهْدَإِي...

– ٢ –

عندما يستيقظُ القمرُ في العروق، ويُعانقُ بيروتَ
عندَ بَوّابةِ العمر؛ عندما يستفيقُ السنديانُ والآسُ مِنْ
مَتاهةِ الظنون، ويرحلُ العمرُ إلى مدائنِ العِشْقِ والحنين،
تَخرجينَ منْ لَغطِ ضلوعي
رافِلَةً، مطعونةً بالمفاجَأَة.
أَيُّها الوَهْجُ العميقُ في بحيراتِ العيون،
كُنْ لقلبي صدًى
واهْدَأْ على سِرِّ أَحلامي...

تشُقّينَ وجْهَ السماء

فضاءً يُمْطِرُ الأَطفالَ،
تسكُنُهُ حَناجِرُهُمْ...
تبدإِينَ سَيْرَ الفجر/
تنبُتينَ في قدمي بِدايةً...
آهِ، آهِ، تخرجين
أَرَجًا يسكنُهُ الضَّياعُ والعودة،
أَو
شجرةً ضوئيّةً تنبتُ في ترابِ قلبي،
تُحرقُ الجوعَ والعطشَ.
تخرجينَ، آهِ، تخرجين
قُرْبانًا للضَّياعِ

أو...
أَرضًا تُقَلِّصُ التيهَ في لَذَّةِ الارتواء،
غريبةً كالفَجاءَةِ،
قريبةً كالفَجاءةِ،
فآهِ، آهِ، اسْتَكيني!

– ٣ –

أَستيقِظُ في عينيكِ مرتدًّا إلى صَفْوَةِ الجسد.
أُطاردُ الفجرَ الراحلَ،
أُلاحِقُ الفَراشَ –

كُنْتِ السِّرَّ في خاطرةِ أَلليلِ
حيثُ أَبدأُ فَنَّ السقوطِ،
أَسقطُ...
أَسقُطُ...
في جَحيمِ أَتّونِكِ،
فاحرقيني...

– ٤ –

نبوءةٌ تفترشُ الرياحَ في قلبي،
تفترعُ الفجرَ؛

نبوءةٌ وَشَّحَتْ وَهْجَ الأَتّون –
هذا حضورُكِ/
جِسمُكِ سحابةٌ،
عَيناكِ مطرٌ،
وأنا أَرضٌ حُبلى...

– ٥ –

أَيَّتُها القريبةُ كالمفاجأةُ، البعيدةُ كالخاطرةِ الأولى،
كُنْتِ الحلمَ، أو
ما يشبهُ الحلمَ...

كنْتِ الغيبوبةَ
أوْ
ما يشبهُ الوَهْمَ
وَأَوَّلَ الولوجِ في الدوار.
أَقرأُكِ غابةً من اللوزِ،
أَدْغالًا من الذهولِ والغرابة،
أَشُدُّكِ. أَحترقُ فيكِ. أُحرِقُكِ...
وَأَنتِ الحَطَبُ والذبيحةُ،
أَنتِ الإلَهُ والمخلوقُ...
راحلًا في بحار الضبابِ خلفَ مُقلتَيْكِ
أُنَزِّهُكِ،

أَرفَعُكِ مَعْبَدًا للوَجْدِ،
وَأَجثو فيكِ...

- ٦ -

وَجهُكِ يَنزلِقُ بينَ أعضائي.
أَراكِ تسبَحينَ فِيَّ
غابةً من الضبابِ الرقيق،
أو
سَحائبَ منَ الأَرَج...
وَأَنْتِ أَنتِ الكنيسةُ،

أَنتِ أَنتِ الأَقانيمُ كلُّها
تفتحُ بَوّابةَ العمرِ
مطرَ الأَطفال...
آهِ، أَنتِ العشبُ... أنتِ العشبُ...
فاستَكيني في جَحيمِ دَمي
أَيَّتُها الكَنيسة الصاعدةُ أَبراجَ الفجر،
أَيَّتُها الأَرضُ الحبلى،
أَيَّتُها البدايةُ – السديمُ.
طوبى لكِ.
طوبى لكِ.
هلّلويا!

(٢٣/ أيار/ ١٩٨٠)

ولادة الحلم

- ١ -

...وكُنْتِ الخيالَ الذي أَرْضَعَتْهُ البراري
ونامَ بعَيْنَيْهِ بَحْرُ المساءْ،
فأَيُّ الرؤى ٱنْبَلَجَتْ من سَكينَتِكِ البِكْرِ؟
كَيْفَ ٱنْبَلَجْتِ
سُيولًا من الأُغنياتِ ٱنْبَعَثْنَ على جُرْحِ قلبي...؟
وكُنْتِ الخيالَ الذي أَرضَعَتْهُ السماءْ.
لِعَيْنَيْكِ ظِلُّ البراري،
لِعينَيكِ كلُّ الرؤى والسناءْ...

– ٢ –

رَمَتْكِ المتاهاتُ في آخرِ الدربِ وانْتَحَرَتْ في خُطاكِ الكواكِبُ/ كُنْتِ سَديمًا تَمَطّى على وَجَعي.

كُنْتِ فَتْحًا

يُعلِّمُني اللغةَ البِكْرَ،

يوقِظُ فِيَّ المفازاتِ.

جئتِ

سيولًا منَ الأُغنياتِ

تَشَهَّيْتُها...

غَيرَ أَنَّ السديمَ اسْتَحالَ خِواءً،

وسافَرَتِ الدربُ مِلْءَ خُطايَ إلى النَّأْيِ –

كُنْتُ احْتراقًا وتَرْنيمةً للعذابْ.

يعاوِدُني الهَوْلُ.
أَرجِعُ مِنْ سَكرةِ الرعبِ قَفْرًا،
ويطرُدُني الليلُ مِنْ صَمْتِهِ،
يوقِظُ الخوفَ والخوفَ والخوفَ...
يوقظُكِ الليلُ منْ نَومِكِ المستطيلِ
سُيولًا منَ الإِشْتِهاءِ،
يَضُمُّكِ طَبْعُ البراري
ويُغْدِقُكِ النورُ في أُقحوانِ الفؤادْ.

لكِ المجْدُ:
فيكَ تجَلَّيْتُ،
فيكَ انْبَعَثْتُ لَهيبًا
يُقَوِّضُ بُرْجَ الرمادْ...

– ٣ –

مَنْ، تُرى، أَيقَظَ الحلْمَ؟
مَنْ صَبَّ في الحُلْمِ غَيبوبةَ الشِّعْرِ فانْصَهَرَتْ في
حضوري لغاتٍ وجسْمًا
وصومعةً للحنانْ؟

هوَ البَوْحُ يَهْتَزُّ فيِ الحرْفِ صمتًا،
هي اللفظةُ البِكْرُ تَنْحَلُّ كَوكَبَ نورٍ
تَلاشَتْ بهِ خطواتُ الزمانْ.
مصابيحُكِ اليومَ تفتَحُ أُفْقًا منَ الضوءِ في مُهجَتي.
أَستَكينُ إِليكِ – أموتُ،
أقومُ منَ الفجْرِ رَبًّا،
ويولدُ فِيَّ المكانْ...

(١٣/ حزيران/ ١٩٨٠)

قبلة من ضياء

ينفتِحُ الضياءُ عنْكِ آَخِرَ الأَحزانِ. تخرجينَ من ضَياعي غَيمةً، ويعشِبُ الثرى بمهْجتي...

يعودُ غَيمُكِ المضيءُ في قرارتي صوامِعًا للوَجْدِ.

أَلْتَقيكِ بعدَ آخِرَ المدى

قِيامَةً

وقبلةً من الضياءْ –

أُقَبِّلُ الشموسَ في بِحارِ عينيكِ.

أنامُ في حنانِكِ الدَّفيءِ

حاضِنًا بَكارةَ السماءْ.

(٢٦/ أيار/ ١٩٨٠)

صعود

- ١ -

أَصعدُ اليومَ في قُدّاسِ تكوينِكِ الجديد.

فَنامي على وسائدِ قلبي، أَيَّتُها الخارجةُ من دَمي إلى صحارى التّيهِ والضباب، واستسلِمي لِإيقاعِ الحلمِ حين ينحدِرُ الكونُ بينَ أَصابعِكِ، ينحدرُ بينَ الرمشِ والرمشِ، بين النظرةِ والنظرةِ...

استسلمي!

إنَّني أَصعدُ اليومَ في قُدّاسِ تَكوينِكِ الجديد.

سأغزِلُ مِنْ عَينَيْكِ تاجًا لقلبي، سَأَنحَدِرُ في زَهْوِكِ كالضوءِ المرتعش. لِمُقْلَتَيْكِ كلُّ هذهِ الأسرار، لِعينَيكِ كلُّ هذا الدفءِ واللينِ... فاهْدَإِي!

أَيَّتُها البعيدةُ عن زئبقِ الجسد، القريبةُ إلى هذا الصدرِ المُكَلَّم، أَيَّتُها الطافرةُ في أُهزوجةٍ تلفُّ حزني كأنشوطةِ الأبديّة، تأتين... تأتين خفيفةً كالوَهْجِ، حاملةً أَرَجَ البحيرات الهاجعةِ في ليلِ عينيكِ/ تأتينَ من نَداوةِ الفجرِ مَسيحًا يرفَعُ بَصَماتِ الجرحِ عنْ خرائبِ قرارتي، فاهدَإِي!

في قلبِكِ الصغيرِ فرَحي، وكلُّ ينابيعِ الحنان...

فِي شمسِ وجهِكِ أَتّونُ كِياني...

سأَنْتَحِرُ فيكِ مستسلِمًا لعذابِكِ البِكْرِ – سآوي
إلى قلبِكِ مَغْسولًا بالثلْجِ والندى،

فآهِ، اهْدَإِي...

إِنَّني أَصعدُ اليومَ في قُدّاسِ تَكوينِكِ الجديد.

– ٢ –

كانَ في عذابي وجهٌ يردُّ عنّي البرْدَ، يَفْتَحُ أماميَ
الفجْرَ الغَضَّ. كانَ بيني وبينَ موتي خَطٌّ صَغيرٌ موغِلٌ في
الدماء –

كانَ بيني وبينَ موتي... أنتِ!
وفجْأةً
تفجَّرَتِ الحقولُ
وأَشرقَ الفردَوسُ في خريفِ عَينَيّ.
فِيضي
على أَلْسِنَةٍ تَحَجَّرَ فيها الكلام،
واسْتَرْسِلي معَ خيوطِ الشمسِ إلى دَياجيرِ قلبي.
سأَغزِلُ منْ غاباتِ عينَيكِ بَيتًا/ سأشربُ منْ دَمْعِكِ
بَلاسِمَ جرحي/ سأشربُكِ
محاصَرًا بكِ –
بِكُلِّ هذا الأُفُقِ المضيء

أَسْقطُ/ أَحْتَرقُ/ أَضْرَعُ أَو لا أَضرَعُ/ أوقِظُ السقوطَ أو أَنامُ في السقوط/ أُفاجئُ الجُموعَ أو يُفاجئُني السُّدى والهَباء/ أُشْعِلُكِ أو أَشتَعل/

غيرَ أَنّي

مُتَّجِهًا إلى أَتّونِ الدمِ أَسكُنُ جرحًا جديدًا؛

ضائعًا كالهواءِ في ضراعةِ الجسد،

مَديدًا كالأرض عبرَ عروقِ الفضاء...

كُنْتُ وَحيدًا.

أَرْكَعُ في وجهِكِ الصغيرِ

لَهوفًا، مطعونًا بالغبطة،
يحملُني الكَرَزُ البَرِّيُّ إلى آخرِ المتاهاتِ، يستيقظُ
فيَّ ندى الصباحِ/ تستيقظينَ في عروقي،
تأتينَ،
تخرجينَ من فضاءِ النَّيلوفَر
نَبْعًا وأرَجًا وأهازيجَ،
تنحدرينَ في لولبِ قلبي،
تقطعينَ رعْدةَ اللحظةِ
بحضورٍ كالفَيْءِ والغبطةِ والتَّوْقِ،
فآهِ، آهِ، اهْدَإِي!
إِنَّني أَدخُلُ اليومَ فَجْرَ العبورِ الجديد.

- ٣ -

لِعينَيكِ ٱزْدِحامُ الندى في بشارةِ الالتحام.
لِوَجْهِكِ الصغيرِ زَهْوُ يُكَلِّلُهُ قوسُ قُزَحَ.
لِقَلْبِكِ – هذا الطفلِ المغَنّي – أَلْفُ أَلْفُ فضاءٍ،
ولي
في صحارى الصمْتِ نَزيفُ الزَّمَنِ العَضْبِ...
تَهاوَيتُ.
كُنْتُ حامِلًا في ضَياعي بقيّةَ وَجْهٍ يوغِلُ في نَداوةِ العشب، ينحدرُ بينَ الجفْنِ والجفْن، بينَ الدمعةِ والدمعة...
تَهاوَيْتُ.

كُنْتُ وَحيدًا،

ساعِدًا يَضرِبُ في هَباءِ الذاكرةِ، يتسرّبُ بينَ التَّوْقِ والوعد.

وكُنْتُ في فضاءِ الجرحِ آتَزِرُ قَهقهاتٍ تأتي منْ خواءِ المسافاتِ.

كُنْتُ وَحيدًا،

لكنَّكِ الآنَ تَخرجينَ مِنْ ندى الصباحِ وورِدِ الربيعِ،

تخرجين...

تخرجينَ من عَتَبَةِ الحلم،

مِن فَراغٍ عظيمٍ كالملاء،

تخرجينَ وَجْهًا فيهِ مصابيحُ قلبي،

طِفْلًا يَثْغو في براري الوَجْد،
عُشْبًا ينمو بينَ المقلةِ والدمعة،
تخرجين...
آهِ، لَيْتَكِ لَمَ تَغيبي،
ليتَ لَيْتَ أَنَّكِ لم تَغيبي...!

– ٤ –

أَبدأُ سرَّ البحرِ الهاجعِ
في أَجراسِ عينيكِ اللولَبيَّتَين
حينَ يستسلمُ جسدُكِ المتعَبُ لشواطئِ صدري —

تصيرُ عيناكِ نَجمتَين
تُحرِقانِ الهَلَعَ والجراحَ،
تُعلنانِ بدايةَ العبور
إلى ثلوجِ الأرض البعيدة ،
إلى سديم الأبد حيثُ يُعلن الصعودُ الوَئيدُ
في أَغشيةٍ من الحلمِ المجسَّد
قُدّاسَ آفاقي...

– ٥ –

يَهُزُّني،

يَلُمُّ نِثاري ويَقرَعُني كالبابِ.
يَستيقظُ فيَّ الرَّأْبُ
أَبْيَضَ كالثلج، وعِرًا كالطبيعةِ —

هو الموتُ
أو ما يُشبه الدخولَ في البداية
وأوَّلَ العبور...
(٢٦/ أيار/ ١٩٨٠)

حلم

– ١ –

حينَ تذوبُ الأَرضُ على عينَيكِ
وترحلُ أَجنحةُ الظِّلّ،
أَسيلُ على شفتيكِ حروفًا حبلى بالأحلامْ...
حينَ يُطالِعني وَجْدُكِ
أَعرفُ أَنّي أهوى حُلُمًا
في ملَكوتِ الأحلامْ...

– ٢ –

حولَكِ يُزهِرُ غَيْبٌ
يا بُرعمةً في الظّنّْ.
تَجْلينَ مَهاويَ الوَعْرِ
وَتَفْتَتِحينَ الرؤْيا...
كُنْتِ الوَعْرَ
وكُنتِ الرؤْيا،
كُنْتِ الزهرَ الطالعَ
مِنْ قُدّاسِ الأَرحامْ...

الرسولة

رأَيتُكِ في وَجهي تَفتحينَ أَبوابَ الغيم، عندما تفيضُ الشمسُ على كرومِ القلب/ رأيتُكِ تَدخلينَ إلى النجوم في هذا الزمن المريض، وتُشعِلينَ وراءَكِ الخطى في انحناءةِ الخِصْبِ على البذورِ النائمة...

بَريقُكِ يُشرِقُ على العالمِ المزَعْزَعِ، والخطى تصعد نحوَكِ. ثَمِلَةٌ أَنتِ كالرشإ الواثِبِ، تَنحَنينَ على تَصَدُّعِ القمَر، تَخْفُرُكِ الوعورُ مِن كلِّ جانبٍ، وتُحَلِّقُ فيكِ اليعاسِبُ والنَّحْلُ...

وجهُكِ يشتعِلُ،

يَفتَحُ المرايا للدخول –
وجهُكِ الدخولُ في غرابةِ التَّكَسُّر،
يا مدينةً عائمةً على بُيوتِ الصقيع...

خطوةً خُطوةً... ثمَّ تنكسرُ المرايا.
خطوةً خطوةً وتبدأ الغيبوبةُ المشرقَة...
وها في اخْتِلاجَةِ عَينَيكِ
يَنفَتِحُ بابُ الرعدِ
وترتعشُ الأَرضُ.
(٢٩/ كانون الثاني/ ١٩٨٠)

تحوّلات

– ١ –

وجهُكِ يَستيقظُ في أحشائي...

يعبرُ.

يخرجُ شمسًا

حُبلى بالأَطفالْ...

– ٢ –

أَخرجُ من غاباتِكِ نَهْرًا،

أُولَدُ فيكِ –
أَراكِ براريَ تَغرقُ فيها الأَنغامْ...
صِرْتِ الوَلَهَ النابضَ في زَفَراتي.
أَنمو فيكِ براعِمَ نَجْمٍ
طِفلًا يَغفو في الأحلامْ...

– ٣ –

وَجهُكِ شمسٌ حبلى.
عيناكِ الصومعةُ الملأى بالليلِ
وكلُّ نداواتِ الأسحارْ.

أَفْنى فيكِ،

أَغيبُ...

أَغيبُ...

أصيرُ الوَلَهَ الآتيَ

مِنْ عُمْقِ الأَقدارْ...

(١٩/ أيار/ ١٩٨٠)

عبور

– ١ –

تَنامينَ في أَضْلُعِ السرِّ نَبْضًا دَفينًا
وتَأوي المحاجِرُ عنْدَ احتضارِ المساءِ.
تَنامينَ... تَرْحَلُ فيكِ الأَجِنَّةُ
أَرْضًا من الدفْءِ والصَّوْمِ
تفتَحُ وجهَ النهارِ الجديدْ...

– ٢ –

أَراكِ هنا وهناكِ

نَهارًا تجَمَّعَ واسْتَظْهَرَ الغَيبَ.
تمضينَ... تمضينَ في آخر الليلِ مَخْتومةً بالسكونِ،
وينتحِرُ الصمْتُ عبرَ خطاكِ!
أَراكِ تقومينَ من آخرِ السرِّ هَسْهَسَةً للبدايةِ
تَخترقينَ الجهاتِ إِلى مُدُنِ الغيمِ،
تَحترقينَ بصدري...
تعودينَ...
تأتينَ من آخرِ العالمِ الصعْبِ
مَرْمِيّةً في ضلوعِ الزمانِ.
يُمارِسُكِ الظنُّ حلْمًا
ويَسكُنُكِ الفجْرُ.

كُنْتِ العبورَ سُجودًا بأَقصى دمي
وانتحارًا بَهِيًّا...

- ٣ -

أُناديكِ من آخرِ الليلِ
حينَ يموتُ الضَّياعُ وترحلُ فيكِ بقايا دَمي.
يُحاصِرُني الوَجْدُ والليلُ يُبحِرُ عَبْرَ جفونِكِ،
يَسْتَلْهِمُ الأَرضَ والشمسَ،
يَسجدُ في مُقلتيكِ خضوعًا.
تنامينَ في التيهِ أَرصِفةً للرجوعِ،

فكوني اللظى
واحرقيني...

– ٤ –

أُعايِنُ فيكِ انْبلاجَ النبوءةِ.
أَلْتَمُّ فيكِ رجوعًا
وجسْرًا
وبوّابةً للعبورْ...

وطن

– ١ –

ليلٌ يغرقُ في عينيكِ الجائعتينْ.
شجرٌ ينمو في عينيكِ الجائعتينْ.
وطنٌ ينمو...
يكبرُ حتى الدهشةِ.
تغدو السُّحْبُ لغاتٍ
تتقرّى كلَّ ترابِ الأرضِ
وتقرأُ وجْهَكِ،
تستظهِرُ ليلَ السحرِ بعينيكِ

وتغفو...

– ٢ –

أَبدأُ فيكِ جنوني:
هذا العالمُ قَمْحٌ في أقبيةِ الجوعِ.
يداكِ تجسّانِ عروقَ حطامي...
أَبدأُ فيكِ جنوني:
صِرْتِ الوطنَ النابتَ
عَبرَ خيوطِ الشمسِ البِلَّوْرِيَّةِ –
عينُكِ بحرٌ

وأنا مركبةٌ وشراعْ...

– ٣ –

أَتَقَرّاكِ حروفًا

مِنْ لغةِ الوجْدِ تُعَلِّمُني وطَني!

– ٤ –

صلواتي تُفني صلواتي.

هذي التربةُ عُرْسُ خُطانا:

أَقرأُ وَجهَكِ،
أَستَظْهِرُ ليلَ السِّحْرِ
وأَغفو...

أَبدأُ فيكِ الدنيا

– ١ –

أَتَنَفَّسُكِ
ريحًا سمراءَ، بقيَّةَ حُلْمٍ، وأُصَوِّرُكِ
أَحْلامًا، ورياحًا أُخرى...

– ٢ –

أُبحِرُ في عينيكِ،
تُداعِبُني الأَمواجْ.

أَقطِفُ منْكِ الأَمَلَ الباقي...
وإذا احترقَ الوعْدُ
وغارَ الفجرُ بأَحْداقي
أَبدَأُ فيكِ الدنيا،
أَرسُمُ مِنْ آفاقِكِ آفاقي...
(٩/ حزيران/ ١٩٨٠)

المدينة الجديدة

– ١ –

كانَتْ عيناكِ سُكنى وَهْجٍ غريبٍ تستحِمُّ فيهِ المسافةُ، ويستيقِظُ وجْهي مليئًا بالجوقاتِ الملائكِيَّةِ. سأَغزِلُ من حنانِكِ سُلَّمًا لبكارةِ الارتقاء. سَأَصْنعُ من حَنانِكِ درعًا لحياتي، أَيَّتُها الأضواءُ النافرةُ من عروقي...

سَأَسْتَيْقظُ فيكِ مُنْدَسًّا في مَسامِّكِ، تارِكًا خلفَ حضورِكِ الشفيفِ أَرَجَ المسافاتِ،

فاستَكيني...

إِنَّ في كائِنِكِ الصَّغيرِ كُلَّ وجودي

وكلَّ كلَّ هذا البهاء.

آهِ، آهِ! استَكيني!

– ٢ –

حينَ يلتَمُّ على رَأْبِنا كلُّ حيني الكون، ويصحو السنديانُ في وجْهِكِ على حَنانِ البَكارة،

حينَ يرحَلُ القمرُ المطعونُ في الطعنة،

وتستيقظُ بيروتُ في الجرحِ الملجوم،

أَخْترقُ كثافَتَكِ الرقيقةَ

مَدْهونًا بالفجْرِ،

أَحمِلُ وجْهَكِ في ضلوعي،
أَيَّتُها المدينةُ الجديدة،
أَيَّتُها الطبيعةُ التي تحفَظُ في تَبَتُّلِها
مَحاجِرَ أَيّامي...

– ٣ –

لكنْ...
عندما يَفُكُّ النهرُ أَزرارَ المجرى
ويَفْتَرِعُ الليلُ أَشجارَ الغاباتِ
أَراكِ

مِنَ السرِّ قادِمةً
منَ الصمْتِ والتَّوْقِ والحنين...
أَرتَدُّ إليكِ/
أَمسَحُ بقلبي حطامَ أَحزانِكِ.
تستيقظُ فِيَّ الغبْطَةُ،
تستيقظُ فِيَّ كلُّ المسافاتِ،
وفي أَلَقِ الوَجْدِ،
في انْبِلاجِ الصَّحْوِ الكبير،
أَفتَحُ رِتاجَ السماء،
وأَوقِظُ الأَرضَ...

(٢/ حزيران/ ١٩٨٠)

جُرح

– ١ –

تخرجينَ من السديمِ أصابعَ فجرٍ.
تسترسلينَ في محاجري حُنُوًّا دافِئًا،
أَستَيقِظُ فيكِ:
أَرصدُ الشمسَ في لؤلؤِ عينَيكِ،
أَقرَأُكِ
ولادةً جديدةً،
جِسرًا ينفتِحُ بأَحشائي.

– ٢ –

فِي غيبوبتِكِ الدافئة
أَتَرَبَّعُ
مَلِكًا مخلوعًا
ترَكَ الجنَّةَ وارتاح...

– ٣ –

تنطلقينَ من آخِرِ البُعْدِ
وَريدًا جائعًا
يَتَبَرَّكُ بِأَحشائي.

أَنتِ الصاريةُ،
كُلُّ شيءٍ دونَكِ.

– ٤ –

أَيُّها الجرحُ الدافئُ
يتسلَّلُ عَبْرَ مسامّي الجامحةِ
كَبيرًا كالحَشْرِ،
كَيفَ أَرتادُ صَمْتَكِ
أنا الغَريبَ في بوصلةِ التيه؟

– ٥ –

تنطبعينَ في ضميرِ الليل
صمتًا يبوحُ بالأَسرار.
تَثقبينَ حِصارَ الدنيا
وتَخرجينَ من هالةِ الفجرِ
ملاكًا مطعونًا بالدهشةِ.
ها يدي –
تَسْتَتْفِهينَ البَوْحَ.
آهِ! ها يدي –
لكِنْ
يَدْفَأُ الجرحُ حينَ أَجُسُّكِ،

يَبردُ الجحيم...
لا يدي ترفَعُ عنْكِ هذا الصمْتَ
ولا جِراحي...

- ٦ -

أَخْرجُ منْكِ هالةً من ضوء،
هالةً من لؤلؤِ عينيكِ
تلتمُّ فوقَ جراحِ الأَرض.
(٢/ كانون الثاني/ ١٩٨٠)

معادلة الوَهْم

- ١ -

"أُنادي الدروبَ انْتحارًا بَهِيًّا
يُفَجِّرُ فيهِ الصدى
لغةَ الكبرياءْ؛
ووجْهُكِ عَبْرَ النِّزاعِ تسلَّلَ،
عبْرَ البكارةِ،
أُنشودةً من سناءْ..."

هكذا قالتِ الأَرضُ حينَ ٱشرَأَبَّتْ إِليها خطى العابرينَ وأوثَقَني الزحْفُ خلْفَ الظلامِ المَواتِ. هناكَ ٱرْتَمَتْ دربُهُمْ واسْتدارَتْ طريقُ الغرابةِ/

كُنْتِ منَ البرْقِ خارجَةً

نَحْوَ أَحزانِ بيروتَ تلتقِطينَ النجومَ وتستَنفِرينَ الأَغاني، تُعادينَ هذي اللغاتِ التي أَجْهَضَتْ ضوءَها وارتَمَتْ قِطْعةً من جليدٍ.

هنا وجْهُكِ البِكرُ يحجبُهُ الشرقُ مُرْتَحِلًا في جُموحِ الخطى، والحصاةُ التي تتقَرّى التُّرابَ، ٱلطيورُ التي تَتَقَرّى السماءَ على غَيمِكِ ٱنْحَدَرَتْ بذرةً من لَهيبٍ. هنا كُنْتِ تلتقطينَ دموعي تمرّينَ في العثَراتِ إلى آخرِ الفجْرِ/

كنْتِ من البرقِ خارجةً

نَحْوَ أَحزانِ بيروتَ...

وجهُكِ يَثْقُبُني حينَ تصحو البذورُ، وتَنهارُ كلُّ الدروبِ القديمةِ، ينبلجُ الدمُ في قبضةِ الليلِ، ينبضُ زَهْوُ المواويلِ عَبْرَ زفافِ الخطى...

– ٢ –

هكذا ارتاحَتِ الأَرضُ في العُرُسِ القُزَحِيِّ وَهَلَّ المدارُ. تُرى عادَ فيكِ الصدى لغةً للجذورْ؟

– ٣ –

هَدَأَتْ صرخةُ المهْجَةِ الدامِيَهْ.
هَدَأَتْ صرخَةُ الحياةْ...

– ٤ –

لِبيروتَ هذا التَهَشُّمُ والأُحْجياتْ.
لِوَجْهِكِ هذا الصدى –

كاشَفَتْني الظنونُ يَواقيتَ ذاكرةِ الليلِ/
كُنْتُ أُقابِلُ وجهي شريدًا يُراوِحُ بينَ اللغاتِ

ولا شيءَ...
لا شيْءَ غيرَ ٱلْتِماعٍ يذوبُ على ليلِ عينيكِ
أُنشودةً للبكاءِ. معادلَةُ الوهْمِ هذي المدينةُ/
كالحلْمِ عيناكِ
تنتَزعانِ الخرائبَ من مُهْجَتي شَوْكةً شوكَةً/ تُسرَقُ
الشمسُ من أُقحُوانِ الغيومِ، تُغطّى الدماءُ...
وأَبْدأُ من ذلكَ الجوعِ
أَبْدأُ من هَسْهَساتِ السنابلِ في الفلَكِ الهَشِّ،
مِنْ قُبْلَةٍ كرَغيفِ الجياعِ:
غريبٌ حضورُكِ مثلَ الغيابِ/ تجيئينَ في آخرِ الليلِ
مشحونةً باللغاتِ – الجُسورْ.

- ٤ -

هيَ الشمسُ تبدأُ من حفْنَةٍ لا تدومْ.
هي الأَرضُ وردٌ يُزَنِّرُ دربًا
تَهاوَتْ عليها طِباعُ الوُجومْ.
هو الصمْتُ يبدأُ من لغةِ البرقِ والقَصْفِ
أَشرِعَةً في نزيفِ الغيومْ.
وأَنْتِ الغرابةُ في اللغةِ الماطِرَهْ/
قالتِ الدربُ حينَ اشْرَأَبَّتْ إليها خطى العابرينَ:
"عَرَفْتُكِ في الخاطِرِ البِكْرِ
صَوْتًا تَجَمَّعَتِ الشمسُ فيهِ
وكُلُّ جموحِ الفَضاءْ.

عَرَفْتُكِ لونَ الغرابةِ
يَفتَحُ آفاقَهُ بارتِواءْ،
ووجُهُكِ عَبْرَ الضلوعِ تسَلَّلَ
أُنشودةً من ضِياءْ..."

(٢٢/ شباط/ ١٩٨٠)

الفهرس



...وكُنْتِ الخيالَ الذي أَرْضَعَتْهُ البراري

ونامَ بعَيْنَيْهِ بَحْرُ المساءْ،

فأَيُّ الرؤى ٱنْبَلَجَتْ من سَكينَتِكِ البِكْرِ؟

كَيْفَ ٱنْبَلَجْتِ

سُيولًا من الأُغنياتِ ٱنْبَعَثْنَ على جُرْحِ قلبي...؟

وكُنْتِ الخيالَ الذي أَرضَعَتْهُ السماءْ.

لِعَيْنَيْكِ ظِلُّ البراري،

لِعينَيكِ كلُّ الرؤى والسناءْ...